

## الإصلاح والعمل الجماعي



للفساد مظهران، تارة يظهر في سلوك فردي وتارة يظهر في سلوك إجتماعي.. وفي الأولى، قد يكون هذا الفرد شخصاً عادياً فتتحد آثار سلوكه الفاسد في محيطه الشخصي أو تمتد لتؤثر على محيطه الاجتماعي العائلي أو المهني.. ولكن قد يكون هذا الفرد حاكماً، ملكاً أو رئيساً، فتكون آثار فساده على مستوى الدولة والمجتمع كلاً، وقد ينجو بصالح المجتمع وقد يهلك بفساده البلد كلاً.

وهكذا قد يتحوّل الفساد إلى منظومة اجتماعية تتمثل بطبقة حاكمة أو طبقات إجتماعية ورأسمالية نافذة، أو تنظيمات سياسية، أو اقتصادية.

وقد تمتد هذه المنظومة لتتخرق المجتمع من أدناه حتى أعلاه، فيكون الفساد كالطاعون المنتشر الذي تجد آثاره على سائر نواحي الجسم ليُشوّهه.

وفي كل الأحوال، فإنّ التنظيم يعدّ من أكثر وسائل القوّة مناعة وفتكاً، وبالتالي تستطيع الأفكار والأهداف الصالحة والسيّئة على السواء أن تتسلّح به، سواء لحماية نفسها أو ترتيب حركتها، ولا يمكن مواجهة أيّة قوّة إلاّ بمثلها، فالأنظمة الفاسدة الطاغية التي تسيطر على كلّ شيء، والأحزاب الفاسدة والمتنفذة التي تتمرس بعشرات المنظمات والهيئات التي تدعم حركتها.. لا يمكن أن تواجه بأفراد عزل متفرقين يريدون الإصلاح وينادون به، إذ سرعان ما تفتريهم أنياب الطاغوت أو تتناوشهم أيدي

المسرفين.. فكان لابد من أن تكون للإصلاح مؤسساته ومنظماته وأحزابه وحركاته، بل أن تكون هناك هيئات عاملة لكل ضرب من ضروب الفساد تعمل على تعريفه وتعريفه للرأي العام وتسعى لتصحيح الأوضاع القائمة - ضمن تخصصها - وإصلاحها، فوحدة للفساد الإداري وأخرى للفساد المالي وثالثة للفساد السياسي ورابعة للفساد الأخلاقي... إلخ.

وفي القرآن الكريم، نجد وصفاً للفساد وأتباعه بكل أنواعه الفردي والاجتماعي، لكننا كثيراً ما نقرأ عن فساد الفرد الحاكم الذي (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ) (البقرة/ 205).

ومن ثم نقرأ أكثر عن المفسدين والتحذير من اتباع سبيلهم والسير على نهجهم، قال تعالى: (.. وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (الأعراف/ 142).

وفي المقابل، على مستوى الإصلاح، نقرأ كل الصيغ: الفردية، الثنائية والجماعية، للإصلاح، لأنّه مطلوب على كل المستويات، ولا يصلح المجتمع إلا بصالح أفراد ومؤسساته أو لا (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ... ) (الرعد/ 11).

ولا توجد في المجتمع زاوية أو مساحة لا يحتاج معها إلى الإصلاح، سواء كانت في خبايا الأنفس وخفاياها المظلمة، أو على مستوى مؤسسات المجتمع ودوائر الدولة.

وهكذا نقرأ في القرآن: صَلِّحْ، أَصْلِحْ، أَصْلِحَا، أَصْلِحُوا.. كما نقرأ أيضاً: المصلح والمصلحين. وفي القرآن نجد حثاً على الأدوار الاجتماعية وتأكيدها لأهميتها وذلك لفاعليتها في مجال التغيير الاجتماعي، ومن هذه الأبواب: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك: إصلاح المجتمع.

(وَلْيَتَكْفُرُ الْمُشْرِكُ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْهُنُوتِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 104).

وقال تعالى: (فَلَا وَلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَاسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْزَجْنَاهُمْ مِنْهُمْ وَاتَّبَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ \* وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود/ 116-117).

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (الأعراف/ 170).

إن الإصلاح عمل خيري يحمل في طياته أسباب النجاح (وَالصُّلُوحُ خَيْرٌ) (النساء/ 128)، ويمدّه □□ تعالى بلوازم التوفيق، إذا توفرت مقدماته، يقول تعالى: (إِنَّ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بِإِذْنِهِ مَا... ) (النساء/ 35).

ومع كل هذا، فإن عمل المصلحين سيكون أبعد أثراً وأكثر ثمرات إذا ما تصافت جهودهم وتقاربت أهدافهم وتوحّدت خطواتهم.. لأن (يد □□ مع الجماعة).



أن يتحمّلوا صوت الحقّ الناقد الذي يكشف الحقائق ويعري أوضاعهم المزرية.. فيلجأوا إلى التهديد والوعيد والغدر والإرهاب، وهي أسلحة الإنسان الضعيف، لا القوي بفكرة ومنطقة..  
(قَالَوا اطَّيِّبُوا زَنَا بِرِكِّ وَبِرِمَانٍ مَعَكُمْ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّيْلِ أَزْتُمُّ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ) (النمل/ 47).

ونجد نفس الصورة في قصة النبي لوط، الذي حاول نصيحة قومه وإنقاذهم ممّا هم فيه من إنحراف وفساد، ولكنّهم أبوا وعتوا وقابلوه بردٍّ عنيفٍ.. (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنْ زَنَّهُمْ أَزْأَسُ يَتَطَهَّرُونَ) (النمل/ 56).  
وهكذا نجد أنّ الناس الفاسدين، قد يتغيّرون بأشخاصهم، ولكنّهم يتشابهون، منذ القدم، وحتى اليوم، بأساليبهم، ومن قتل وغدر، وتشريد وتهجير، للمؤمنين والناس الصالحين..

وتبقى أيضاً منظومتا الفساد والإصلاح، متقابلتين - سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات - في صراع أبدي، ابتداءً بقابيل وهابيل، ولا ينتهي إلى يوم الدين.

ولمّا كان للفساد مناهجه وآلياته، وله وجوده المتعدّد الأشكال على مستوى الأفراد وعلى مستوى التنظيمات الاجتماعية والسياسية، كان بالمقابل لا بدّ من أن يأخذ العمل للإصلاح ومكافحة الفساد بأسباب القوة، ومنها العمل كجماعات وتنظيمات ذات عمل مدروس ومُرتّب، ولا بدّ أن تتعاون الجماعات والجمعيات الإصلاحية فيما بينها بعيداً عن المصالح السياسية المؤقتة لهذه الفئة أو تلك، فهدف الإصلاح لا بدّ أن يبقى سامياً ومتعالياً عن الغايات النعيّة المحدودة، فإنّ النوايا الصالحة لها أقوى فاعليّة في نجاح الجهود المُصلحة وفلاحها.

قال تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء/ 114).

المصدر: كتاب نظرية الإصلاح من القرآن الكريم